Coptology

إختزال التاريخ
والوقاحة ونشر الكراهية

دكتور
جورج حبيب بباوي

٢٠١٦

www.coptology.org

اختزال التاريخ والوقاحة ونشر الكراهية

عندما عدنا إلى التاريخ، نعم تاريخ كنيسة مصر، وجدنا تراثاً امتد من العصر الرسولي حتى أيامنا. وعرفنا أن أُم الشهداء مرت ولا تزال بصراعٍ من أجل البقاء على أرض مصر. وشهدنا في الأيام الأخيرة عودة عصر قلاوون المعروف بعصر خراب الكنائس للظهور؛ إذ دُمِّرت ٦٦ كنيسة أثناء ثورة شعب مصر، ولكن ما اختلف عن عصر قلاوون هو أن تقوم القوات المسلحة المصرية ببناء ما دُمر، وهو ما لم يحدث في عهد المماليك أو الأتراك العثمانيين.

واسترداد التراث القبطي وإفراز الأصيل فيه بدأ في العصر الحديث على يد الأرشيدياكون حبيب جرجس. وسارت حركة استرداد التراث هذه بدفع جديد بزخم الأب متى المسكين، ثم تراجعت قليلاً تحت هجمات قادها بكل أسف بعض الأكليروس، وإن تابع دفع هذه الحركة مجموعة من الأخوة العلمانيين كان على رأسهم د. نصحي عبد الشهيد، الذي حمل على عاتقه عبء هذه المتابعة بصبرٍ ومثابرة تفوق الحد أعانه عليها إيمانه برسالته. وكان أن نُشرت لأول مرة معظم كتابات القديس أثناسيوس، وبعضاً من مؤلفات القديس كيرلس عمود الدين، وتوالت البعثات إلى اليونان وإلى المانيا وانجلترا وفرنسا وإيطاليا ليعود أغلب الدارسين الذين تخصَّصوا في الدراسات اللاهوتية ليجدوا أنفسهم يعاملون بجفاء، بل تم وضعهم تحت حزام الفقر القاسي، حتى ييأسوا من مهمتهم الملقاة على عواتقهم وهي مراجعة التراث الشعبي الذي نقل الكثير من الثقافة والتوجهات الإسلامية، وكُتب المبشِّرين الغربيين.

واستمراراً لحملة التيئيس والاستبعاد، سخروا مواقع التواصل الاجتماعي التي فتحت باب جهنم على كل ما يُنشر:

* مرةً بالادعاء بعدم صحة الترجمات، دون أن يتفضل علينا أصحاب هذا الاتهام بنشر الترجمة الصحيحة، ويعود هذا الهجوم إلى الأنبا شنودة الثالث شخصياً.

* ومرةً ثانيةً بالادعاء بأن هناك مخالفات لتعليم الكنيسة. ومن الغريب أن أصحاب هذا الادعاء يتوهمون أنهم هم الكنيسة بكل ما لها من تاريخ وتراث، مستندين في هذا الهجوم على ما زعموه من سلطان الكهنوت الذي له قصص لا تنتهي، ربما أفضل مثال له في العصور الخوالي هو تجريد ذهبي الفم ونفيه وموته في المنفى.

ونال أبونا ديوسقوروس نفس المعاملة، بل صدر قرار حرمان ضد كنيسة مصر وسوريا، بادعاء أنها كنائس أصحاب الطبيعة الواحدة.

وفي العصر الحديث مات الأنبا ايسيذوروس مؤلف الخريدة النفيسة، وتحوَّلت الكنيسة التي كان يصلي فيها إلى مخبز. وانضم إليه في ذات المصير أكبر زعيم وطني، القمص مرقس سرجيوس. وجُرِّد الأب متى المسكين، حتى من الرهبنة، وليس فقط من الكهنوت، مع أن تجريد راهب من الرهبنة شيء مستحيل طالما أنه يحيا الحياة الرهبانية الحقة. وصدر قرارٌ بحرمان كاتب هذه السطور دون سبب خاص بالإيمان نفسه. فأنا لم أنكر الثالوث الذي أنكره الذين قالوا إنه وجود وعقل وحياة، وسقطوا عن جهل في بدعة سابليوس.

وأنا لم أُنكر أُلوهية الرب التي ينكرها كل الذين يعلِّمون بأنه هو ودمه الكريم صار ثمناً لخطايا البشرية.

وأنا لم أُهاجِم روح الآب مُدَّعياً أنه يعطي المواهب فقط، في حين أن الحياة الأبدية التي يعطيها الروح القدس، ليست موهبة، بل هي حياة الله نفسه.

وقد دافعت عن شفاعة القديسين في أول دراسة تاريخية نُشِرت باللغة العربية بعنوان "شفاعة القديسين أم عبادة أموات".

وسبق لي أن نشرت جزءً من دراسة تاريخية عن أصالة وقِدم صلوات المعمودية في الكنيسة القبطية، ولكن كانت حملات الهجوم لا تقف.

لم أتواقح حتى أمنح الخلاص للشيطان، كما يدَّعي عليَّ نيافة مطران دمياط ونسب إليَّ رأي أعداء أوريجينوس؛ فأنا أعرف قدر نفسي جيداً، فلا يمكن أن أنكر أمراً يخص الديان العادل، بل وأقول إنه ولا حتى أوريجينوس نفسه كتب هذا الكلام، وإنما تقوَّل عليه أعداءه بهذه الادعاءات.

ووصل الأمر إلى أن يصبح "التسطيح" هو سيد الموقف في قاعات الدراسة، وصارت المحاضرات في مستوى مدارس الأحد. وغاب تدريس التاريخ، فلم نعد نستوعب الاختلاف على ترجمة كلمة أناثيما، وهي كلمة يونانية، ترجمة للكلمة العبرانية كما وردت في السبعينية للكلمة חֵרֶם أي ما يخص الله حسب نص الترجمة السبعينية في أسفار: العدد ٢١: ٣ – تثنية ٧: ٢٦ – يشوع ٦: ١٧ و١٢ قضاة ١: ١٧ – زكريا ١٤: ١١). فهذا هو أصل الكلمة، ولأن كل كلمة بعد ذلك لها تاريخ، صارت الترجمة ليس حكم الله، بل حكم البشر على ذهبي الفم وديوسقوروس والمعترف مكسيموس الذي قطعوا يديه ولسانه حتى لا يكتب ولا يتكلم ومات في المنفى.

بل صار أحد استخدامات الفعل كما في أع ٢٣: ١٤ هو القَسَم الذي يربط جماعة بقَسَمٍ يستوجب اللعنة، ودخل الفعل اليوناني من السبعينية كما هو واضح من (عدد ٢١: ٢ – تثنية ١٣: ١٥ – ٢٠: ١٧ – يشوع ٦: ٢١).

ما بين ملفات التاريخ والوقاحة:

نقول "رَحِم الله امرأً عرف قدر نفسه"؛ لأن الانتفاخ بالمعرفة هو سبب الوقاحة ونشر الكراهية. فمن يخطئ يُرد بالصواب لا بالشتائم، ولا حتى بالحرمان، أم أن ذهبي الفم وديوسقوروس غابا من التاريخ. ماذا لو كان هناك حوار محبة وحوار صدق في ٤٥١؟

إن ما يُعرف باسم Historical Theology هو مادة أساسية في جامعات العالم التي تحترم الفكر، ولكن الوهابية القبطية تجعل الاختلاف في الرأي رِدة، رغم أن الارتداد جاء من الذين هاجموا تراث الآباء بدون تمييز، وعزلوا الروح القدس عن حياة الكنيسة. وجاءوا بالحلول المواهب كبديل لحلول روح الرب. هكذا وصلت الجسارة إلى اختراع روحٍ آخر، بل تحوَّلت نعمة الخلود والحياة الأبدية والقيامة من الأموات والتبني إلى هرطقة تأليه الإنسان. هذه وقاحة وافتراء لم يعد لهما مكانٌ؛ لأنهما لم يكن لهما في التاريخ مكانٌ.

في النهاية يبقى الغفران لكل الذين أساءوا وشتموا؛ لأن الحكم لله.

د. جورج حبيب بباوي